وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية
كلية التربية



مجلة علمية محكمة

العدد الثاني ٢٠١١
المجلد الأول

الأصوات الخفيَّة في الدرس الصوتي العربي

م.م مصطفى حسين مزعل
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية
قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ينهض هذا البحث بقراءة التراث الصوتي العربي القديم في ظاهرة صوتية يصطلح عليها بـ (الخفاء الصوتي) ، للكشف عن غموضه بمفهوم حديث لمعرفة المستغلق منه .

ومن خلال ما وجدته عند الدارسين المحدثين من ملابسات وانحرافات عن جادة الصواب في توجيه الخفاء الصوتي عند القدماء ، مما دفعني ذلك إلى تكثيف جهدي والخوض فيها من أجل تصور يجلو حقيقتها .

وسوف يعرض هذا البحث تصور علماء العربية والتجويد لفكرة الخفاء بنوعيه: الحركة والحرف ، فضلاً عن بيان آراء بعض الدارسين المحدثين لعلم الصوت الحديث في تحديد مفهومها .

اسأل الله تعالى أن يكون هذا البحث نافعاً ، وأن يتقبل ما فيه من صواب ، ومن الله التوفيق .

الأصوات الخفية : المصطلح ، والأصوات :-

الأصوات الخفية من مصطلحات الخليل (ت ١٧٥هـ) ، إذ أورد سيبويه (ت ١٨٠هـ) رأياً للخليل يذكر فيه أن الهاء خفية: ((إعلم أنّ منهم من يحرِّك الآخر كتحريك ما قبله فإن كان مفتوحاً فتحوه وإن كان مضموماً ضمّوه وإن كان مكسوراً كسروه ... فإن جاءت الهاء والألف فتحوا أبداً وسألت الخليل لِمَ ذاك فقال لأن الهاء خفيَّة فكأنهم قالوا رُدَّا وأَمدَّا وغُلاً إذا قالوا رُدَّها وغُلَّها وأَمدَّها ...))[1] .

---

(1) الكتاب : ٢/ ١٥٩ ، وقد جعل الدكتور غانم قدوري الحمد سيبويه رائداً للمصطلح ، وهو وهم منه ، والصواب ما أثبت في المتن ، ينظر: أبحاث في علم التجويد ١١٥ .

وقد استعمله سيبويه في وسم مجموعة من الأصوات بأنها خفية ، وحذوا علماء العربية حذوه [١] ، ولا يخفى على علماء التجويد ما اختطوه لأنفسهم من توجيه مفهوم الأصوات الخفية ، قال الداني (ت ٤٤٤هـ) : ((والمخفى شيئان : حرفٌ ، وحركة))[٢] .

يتبين من هذا النص أن أصوات الإخفاء تأتي بمدلولين :

الأول : خفاء الحركة ، والثاني : خفاء الحرف .

وسنعالج مفهوم هذه المسألة تباعاً على النحو الآتي:-

أولاً : خفاء الحركة:-

أصوات المد في العربية هي ؛ أصوات المد القصيرة أو ما تسمى بـ (الحركات) ، وأصوات المد الطويلة ، ولكلٍ منها مقدار محدد من الطول الصوتي، ولا يقتصر المد على أصوات المد فقط ، بل يشمل الأصوات الصامتة ، إذ أن لها مقداراً من الطول أيضاً ، إلا أن الطول الصوتي أكثر تحققاً بأصوات المد التي هي أكثر تعرضاً للزيادة والنقصان في زمن النطق من الأصوات الصامتة ، لأن طبيعة نطقها تحقق ذلك [٣] .

ولتحديد مفهوم (خفاء الحركة) استطاع الباحث وبحسب آراء القدماء أن يحددها بمفهومين :-

١- خفاء المد الطويل :-

وهو أن تنطق أصوات المد القصيرة (الضمة والفتحة والكسرة) في سياق الكلام ، من غير زيادة في مقدار مدها ، ولو زاد مقدار المدة الزمنية لنطقها

(1) ينظر: الكتاب ٢/ ٢٩٣، ٤٠٦ ، والمقتضب ١/ ٦٥، ٢١٦، ٢٢٧، ٢٦٩، والأصول في النحو ٣/ ٤٠٤ .

(2) التحديد في الإتقان والتجويد ٩٨ .

(3) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٥٠٧ ، والأصوات اللغوية ١٢٧ ، والقراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية ١٢٨- ١٢٩ .

لأصبحت أصوات مدٍ طويلةٍ ، ويدلُّ على ذلك قول الداني: ((... إخفاء الحركة نقصان تمطيطها))[1] .

والتمطيط الوارد في هذا النص تشير دلالته عند المجودين إلى أن : ((المط هو المدُّ نفسه ، لغة ثانية فيه))[2] .

وقال الداني في موضع آخر: ((... إخفاء الحركات فحقه أن يُضَعَّفَ الصوت بهن ولا يُتَمَّ))[3] .

ويزاد على ذلك دليل آخر هو قول أبي القاسم السهيلي (ت ٥٨١هـ) بنصٍ جاء فيه:((فالضمة عبارة عن تحريك الشفتين بالضم عند النطق بالحرف، فيحدث من ذلك صوت خفي مقارن للحرف ، وإن امتد كان ((واواً)) وإن قصر كان ضمة .... والفتحة عبارة عن فتح الشفتين عند النطق بالحرف وحدوث الصوت الخفي الذي يسمى فتحة أو نصبة وإن امتدت كانت ألفاً ، وأن قصرت فهي بعض الألف [4] .... وكذلك القول في الكسرة والياء وإن إحداهما بعض الأخرى))[5] .

ونستخلص من هذا النص أمرين هما :

أ- إن خفاء الحركة أمرٌ متعلق بتحققها الصوتي فيؤدي زيادة تحققها في النطق إلى صوت مد طويل .

ب- في النص أشارة صريحة ودقيقة في تسمية أصوات المد القصيرة (الحركات) بـ (الخفية) ، لذلك تدخل هذه الأصوات في ضمن مجموعة الأصوات الخفية .

---

(1) التحديد في الإتقان والتجويد ٩٨ ، وقد ذكر قسم من المحدثين أصوات المد الطويلة وهي (الألف والواو والياء) ضمن مجموعة من الاصوات الخفية ، ولم يذكروا أصوات المد القصيرة (الحركات) ، وهم بهذا الأمر قد غمطوا حقها في الإخفاء ، ينظر : مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية ٨٩- ٩٠ ، والمدارس الصوتية عند العرب ١١٦- ١١٧ .

(2) مرشد القارئ إلى تحديد معالم المقارئ ٥٠ ، وينظر:التمهيد في علم التجويد ٥٤ .

(3) التحديد في الإتقان والتجويد ١٠٢ .

(4) وردت في النص (ألف) ، والصواب ما أثبته (الألف) .

(5) نتائج الفكر في النحو ٦٧ .

٢- خفاء المد القصير :

وهو أن تنطق الحركة القصيرة في سياق الكلام أقل من مقدارها الطبيعي ، وقد أختلف المجودون والمحدثون في قياس تقدير نطقها [١] ، إذ يرى المجودون أن نطقها يقدر بثلث الحركة [٢] ، وعند المحدثين بنصفها [٣] .

ويؤكد مفهوم هذا الخفاء المالقي (ت ٧٠٥ هـ) بقوله : ((... إخفاء للحركة وهو الذي يعبر عنه بالروم ، وحقيقته : النطق ببعض الحركة ، وهو مستعمل في الضمة والكسرة ...))[٤] .

ويمكن أن نستشف من هذا النص ما يأتي :

أ- إن النطق ببعض الحركة يفارق الحركة الأصلية في صفة المد الذاتي لها سمعياً عما كانت عليه قبل الإخفاء .

ب- إن النطق المتحصل لإخفاء الحركة يسمى بالروم ، وتأسيساً على هذا يكون الروم ضرباً من الإخفاء ، وتؤيد الدراسات الحديثة بأن : ((الروم ، وهو الإشارة بصوت خفي ضعيف للدلالة على الحركة .... فهي إختلاس الحركة ، وتقصير زمن النطق بها ، بحيث تسمع ويدركها أصحاب السمع في زمن أقل مما تتطلبه الحركة العادية فالفرق بين الحركة في هذه الظاهرة والحركة العادية فرق كمية لا أكثر ولا أقل))[٥] .

ثانياً : خفاء الحرف

يخص العلماء القدماء الخفاء في مجموعة من الأصوات ومن خلال تتبع أقوالهم ورصدها تبين أن هذه الأصوات تضم في العربية الأصوات الآتية : (المد واللين ، والهاء ، والتاء ، والهمزة ، والنون المخفاة ، والميم المخفاة) .

---

(1) وسمت هذه الظاهرة أيضاً بالحركة المختلسة ، ينظر: القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية ٥٠ .

(2) ينظر : إتحاف فضلاء البشر ٣١٤/١ .

(3) ينظر : فقه اللغة العربية ٤٢٤ (الهامش ٤) .

(4) شرح كتاب التيسير للداني ٢٣٢ .

(5) من قضايا اللغة ٩٨- ٩٩ .

وقد جاءت الإشارة إليها عند القدماء من جهتين :

أ- علماء العربية القدماء : اشاروا إلى الأصوات التي وصفت عندهم بالخفية في مواضع متناثرة هنا وهناك [١] .

ب- المجودون : ذكروا أن عددها أربعة أصوات ، قال مكي (ت ٤٣٧ هـ) : ((الحروف الخفية : وهي أربعة : الهاء ، وحروف المد واللين ...))[٢] ، ولكنَّهم استدركوا فأضافوا النون المخفاة ، والميم المخفاة ، وكأنَّهم يشيرون إلى حالة أخرى ينطبق عليه هذا الإخفاء ، وسنوضح مفهومه في موضعه من البحث .

ويمكن أن نوضح حدّ وصفها بالخفاء على النحو الآتي :

١- أصوات المد واللين (الألف ، والواو ، والياء)

علل الخليل علّة تسمية مخرجها بالجوف بقوله : ((... الواو والياء والألف اللينة ... سميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ، ولا من مدارج الحلق ، ولا من مدرج اللهاة ، إنَّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف))[٣] .

ونلحظ في هذا النص أن مخرج أصواتها يتسم بأن لا مدرجة تنسب إليه في تجويف جهاز النطق ولاسيما الفم وذكر منه (اللسان ، والحلق ، واللهاة) ، وهي حقيقية تؤيدها الدراسات الصوتية الحديثة [٤] وقد توارث العلماء القدماء فكرة (إتساع المخرج) ، ليجعلوا منه أساساً لإخفاء هذه الأصوات .

قال سيبويه : ((اللينة وهي الواو والياء لأن مخرجها يتسع لهواء الصوت مخرجه أشدَّ من اتساع مخرج الياء والواو لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في

(1) ينظر : الكتاب ٢٩٦/٢ ، ٤٠٦ ، ٤١٥ ، والمقتضب ٢١٦/١ ، ٢٦٩ ، وشرح المفصل ٥٢٢/٥ ، ٥٢٥ .

(2) الرعاية ١٢٧ ، والموضع في التجويد ٩٧ ، والتمهيد في علم التجويد ٩٣ .

(3) العين ٥٧/١ .

(4) ينظر : التفكير الصوتي عند الخليل ٣٩ .

الياء لسانك قبل الحنك وهي الألف وهذه الثلاثة أخفى الحروف لإتساع مخرجها وأخفاهنّ وأوسعُهنّ مخرجاً الألف ثم الياء ثم الواو))[١] .

وقال القرطبي (ت ٤٦١ هـ) : ((وأمَّا الخفية ... الألف والياء والواو ، وذلك لاتساع مخرجهنَّ ، وأوسعُهنَّ مخرجاً الألف لأنه لا علاج على اللسان فيها كالنَّفَس ... ثم الياء ، ثم الواو))[٢] .

ويمكن أن نلحظ في هذين النصين الآتي :

أ- إنَّ فكرة إتساع مخارجها تشير إلى أنَّ إخراجها يكون بلا عائق أو إحتكاك في نقطة ما من جهاز النطق على نحو ما نلحظه في الأصوات الأخرى[٣].

ب- إنَّ وصف القرطبي للألف بأنها (كالنَّفَس) أي الهواء [٤] ، يوحي إلى أنها ليس لها مخرج تنسب إليه فخفاؤها متأتٍ من خفاء مخرجها الذي يصعب تحديد جهة ما من جهات النطق لنطقها وذلك ((لأن الهواء ليس بمخرج))[٥] .

٢- الهاء :-

وصفت الهاء بالخفاء عند أغلب القدماء [٦] ، وقد علل الأخفش (ت ٢١٥هـ) علة خفائها بقوله: ((الصوت لا يجري إلا في حروف المد واللين ، وهنَّ الياء والواو الساكنتان والألف ... وإنَّ كانت الهاء لا يجري فيها الصوت ، فلأنها حرف ضعيف خفي المخرج فأشبه بخفائه حروف اللين ....))[٧] .

ونستطيع مناقشة رأيه من وجهين :

---

(1) الكتاب ٤٠٦/٢ ، وذهب د . عبد الصبور شاهين إلى أن وصف الألف بـ ((الهاوي)) من مصطلحات سيبويه ، وفسر عند من جاء بعده بـ (الهوائي) ، ينظر : أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢١٠ ، وهذا الرأي يبخس ريادة الخليل في المصطلح ، ينظر : العين ٥٧/١- ٥٨ .

(2) الموضح في التجويد ٩٧ .

(3) ينظر: علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي ١٤٨ ، وعلم الأصوات العام ١٠٦- ١٠٧ .

(4) ينظر: لسان العرب (نفس) ٢٣٥/١٤ .

(5) المساعد على تسهيل الفوائد ٤/ ٢٤٩ .

(6) ينظر: الكتاب ٢/ ٢٩٣ ، والمقتضب ٣/ ١٧٠ ، وسر صناعة الاعراب ١/ ٦٤ ، والموضح في التجويد ٩٧ .

(7) القوافي ٧٨- ٧٩ .

أ- قوله: ((**الصوت لا يجري إلا في المد واللين ، ....**)) .

يعني أنَّ جريان الصوت متحصل عن إتساع مخرج هذه الأصوات وانفتاح مجراه الذي لا يعيق الهواء الصوتي [1] .

ب- قوله: ((**الهاء لا يجري فيها الصوت ، فلأنها حرف ضعيف خفي المخرج فأشبه بخفائه حروف اللين**)) .

فيمكن قبوله بالنظر إليه على وفق مقياس (إتساع المخرج) وانفتاحه بين أصوات المد واللين، والهاء ، فكأنه يشير إلى أنَّ الهاء يكون إتساع مخرجها أقل من اتساع مخرج اصوات المد واللين .

وهي حقيقة أيدها المحدثون في أن سبب التشابه بينهما هو المخرج ، إذ أنَّ وضعية مخرج الهاء عند النطق بها يكون بمستوى اصوات المد واللين تقريباً ، ولكن ذلك لا يصل إلى أنْ تكون الهاء متطابقة معها في المخرج [2] . وإلى هذا ذهب الدكتور محمود السعران في وصف الهاء بأنها (صائت مهموس)[3] ، وهذا يعني أنَّ التشابه ليس صفة بل مخرجاً .

ومهما يكن من أمر فأن خفاء مخرج الهاء عند الأخفش يدل على أنه لا يمكن تحديد جهة معينة لنطقها ، وكأنه أحسَّ أَنَّ وصفها عند الخليل وسيبويه بالحلقية [4] أمر لا يمكن قبوله .

ولعل ما كشفه المحدثون بأن مخرجها الحنجرة [5] ، يعد دليلاً على خفاء مخرجها عند القدماء .

٣- **التاء :-**

---

(1) ينظر: في الأصوات اللغوية ، دراسة في أصوات المد العربية ٣٧ ، وأسس علم اللغة ٧٨، وفكرة الصوت الساذج وأثرها في الدرس الصوتي العربي ٢٠٠ (بحث) .

(2) ينظر: الأصوات اللغوية ٢٨ ، وعلم الأصوات ٣٠٤ ، وأثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢٣١ .

(3) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ١٧٨ .

(4) ينظر: العين ١/ ٥٢ ، ٥٧- ٥٨ ، والكتاب ٢/ ٤٠٥ .

(5) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية ٩٣ .

وسم التاء صوتاً خفياً [1] ، وذكر ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ) علة خفائها بنص جاء فيه: ((والمهتوت التاء [2] لضعفه وخفائه لأنه حرف شديد فيمتنع الصوت أن يجري معه ، وهو وإن كان مهموساً يجري النفس معه إلا أنه عند الوقف عليه لا نفس يجري معه فيتحقق خفاؤه))[3] .

يلحظ في هذا النص أنّ هناك أسباباً ساعدت على وسمها بالخفاء هي:-

أ- إنَّها صوت شديد .

ب- إنَّها صوت مهموس

ج- إنَّ تحقق خفائها يبرز عند الوقف عليه أكثر من وصلهِ بغيره ، قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) : ((وإذا سكنت التاء وأتى بعدها حرف من المعجم فاحذر إخفاءها ... وقيل : لأن التاء حرف فيه ضعف ، وإذا سكن ضعف ، فلا بد من إظهاره لشدته))[4] .

وهذا يعني أن ملمح الخفاء فيها متحصل من صفتي الشدة والهمس ، وهما قد أثرا تأثيراً سلبياً في وضوح طاقتها الصوتية في السمع ، ويمكن أن نسند هذا الأمر بدليلين :

الأول: نقل السيرافي (ت ٣٦٨هـ) عن أبي اسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، قوله: ((... ومنها ما يتهيأ لك أن تنطق به ومسمع عنك خفياً .. فرم ذلك في التاء؛ فإنك تجده وذلك قولك ت ت ت فهذه تسمع منك خفية))[5] .

الثاني: ما أثبته المحدثون من أن قوة الوضوح السمعي في الصوامت الإنفجارية المهموسة أشبه ما تكون معدومة [6] .

---

(1) ينظر: شرح المفصل ٥/ ٥٢٢، ٥٢٥ .

(2) وردت في النص (الياء) والصواب (التاء) ويدل على ذلك أنه ذكر التاء في أثناء حديثه عن الحروف المهموسة الشديدة ، ينظر: الإيضاح في شرح المفصل ٢/ ٤٨٧ .

(3) الإيضاح في شرح المفصل ٢/ ٤٩٠ .

(4) التمهيد في علم التجويد ١١٤ .

(5) شرح كتاب سيبويه ٥/ ٣٩٦ .

(6) ينظر: دراسة الصوت اللغوي ٢٨٨ ، وفي الأصوات اللغوية ، دراسة في أصوات المد العربية ٤٥ ، والمدخل إلى علم اللغة ، ومناهج البحث اللغوي ١٠٠ .

٤- الهمزة :-

وصفت الهمزة بأنَّ لها خفاءً [١] .

ويمكن أن نفسر خفاءَها من جهتين :

أ- الهمزة المفردة .

ب- الهمزة المركبة .

أ- الهمزة المفردة:-

وسمت الهمزة بحسب رأي الخليل بأنَّها من أحرف الجوف ، قال الخليل: ((أربعة أحرف جوف وهي : الواو، والياء، والألف اللينة ، والهمزة وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ، ولا من مدارج الحلق ، ولا من مدرج اللهاة ...))[٢] .

وقال أيضاً : ((والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه))[٣] .

ويستبان من هذا النص أن الهمزة لا مخرج لها في التجويف الفموي ولا أثر لحركة اللسان فيها .

ووصفت الهمزة عند القدماء بأنها صوت مجهور [٤] ، وقد أجمع القدماء والمحدثون على أنها صوت شديد [٥] ، والذي حدد سيبويه مفهومه بقوله: ((الشديد وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه))[٦] .

وهو ما يصلح عليه عند المحدثين بالوقفي الانفجاري [٧] .

وصفة الإنفجارية في الهمزة قللت من وضوحها السمعي [٨] .

---

(1) ينظر: الرعاية ١٢٨ ، والتمهيد في علم التجويد ٩٣ .

(2) العين ١/ ٥٧ .

(3) المصدر نفسه ١/ ٥٨ .

(4) ينظر: الكتاب ٢/ ٤٠٥ ، وسر صناعة الاعراب ١/ ٦٩ .

(5) ينظر: الكتاب ٢/ ٤٠٦ ، والمقتضب ١/ ١٩٥ ، وسر صناعة الاعراب ١/ ٦١ ، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ١٣٩ .

(6) الكتاب ٢/ ٤٠٦ .

(7) ينظر: علم الأصوات ٢٤٧- ٢٤٨ ، ومعجم الصوتيات ٥٦ .

(8) ينظر: دراسة الصوت اللغوي ٢٨٨ .

ويخرج مما مرَّ ذكره بأن إخفاء الهمزة متحصل من أسباب مخرجية فلا مخرج لها يحدد بسهولة ، ووصفية متمثلة بقلة وضوحها السمعي نتيجة صفتها الإنفجارية .

ب- الهمزة المركبة :-

وهي همزة (بين بين) ، وقد وصف سيبويه حقيقتها بقوله: ((إعلم أن كلّ همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة فأنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة وتكون بزنتها محققة غير أنك تضعّف الصوت ولا تتمه وتخفي لأنك تقربها من هذه الألف .... وإذا كانت الهمزة منكسرة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والياء الساكنة كما كانت المفتوحة بين الهمزة والألف الساكنة ألا ترى أنك لا تُتِمَّ الصوت ههنا وتضعفه لأنك تقربها من الساكن ولولا ذلك لم يدخل الحرف وهنٌ ... وإذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والواو الساكنة ... فكل همزة تقرب من الحرف الذي حركتها منه ...))(١) .

ويوميء هذا النص بأمرين :

أ- خفاء مخرج الهمزة الأصلية وتغيبة .

ب- خفاء بسبب التعامل مع حركتها مما أدى إلى حدوث شبه فناء جزئي للهمزة الأصلية فينطق بها ((شبه من لفظ الهمزة ولا يكون همزة خالصة))(٢) .

ونتيجة للفناء الجزئي ، واشرابها الصوت الذي منه حركته يقلُّ جزء من طاقة وضوحها الصوتية (٣) .

٥- النون المخفاة :-

---

(1) الكتاب ٢/ ١٦٣- ١٦٤ .

(2) شرح كتاب التيسير للداني ٣٤٦ .

(3) اشار د. احمد الجندي إلى أن صوتها يصيبه الضعف الشديد ، ينظر: اللهجات العربية في التراث ١/ ٣٢٣ .

ويصطلح عليها بالمخفاة إذا جاء بعدها ((خمسة عشر حرفاً من حروف الفم وهي : القاف والكاف والجيم والشين والضاد والصاد والسين والزاي والطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء والفاء))[١] .

ومن خلال تتبع النصوص الآتية يمكننا أن نلمح مفهوم الإخفاء فيها :

أ- قال مكي: ((... والعلة في إخفاء النون الساكنة ... أن النون قد صار لها مخرجان مخرج لها ، ومخرج لغنتها ، فاتَّسعت في المخرج ، فأحاطت عند اتِّساعها بحروف الفم فشاركتها بالإحاطة فخفيت عندها ....))[٢] .

ب- قال الداني: ((وأما إخفاء النون والتنوين فحقه أن يؤتى بهما لا مظهرين ولا مدغمين ، فيكون مخرجهما من الخياشيم لا غير ، ويبطل عمل اللسان بهما ....))[٣] .

ج- قال القرطبي: ((ومعنى خفائها ما قدمناه مِنْ اتصال النون بمخارج هذه الحروف واستتارها بها وزوالها عن طرف اللسان ، وخروج الصوت من الأنف من غير معالجة بالفم ....))[٤] .

وما تقدم آنفاً في هذه النصوص يمكن أن نلحظ مفهوم خفاء النون بالآتي:-

أ- إتساع مخرجها .

ب- لا عمل للسان في نطقها .

ج- يغيب مخرجها في التجويف الفموي .

د- اتصالها وتركيبها مع أصوات الفم التي تخفى عندها ، مما يؤدي إلى اشرابها معها .

---

(1) الموضح في التجويد ١٧٠ .

(2) الرعاية ٢٦٧ .

(3) التحديد في الاتقان والتجويد ١٠٢ .

(4) الموضح في التجويد ١٧٠ .

وهذا يعني أن خفاء النون متأتٍ من جهتين المخرج ، والتركيب مع ما يجاورها .

٦- **الميم المخفاة :-**

ورد إخفاء الميم في صوت واحد هو الباء ((الميم إذا سكنت وبعدها باء وجب إخفاء الميم معها ... وذلك أن الباء قربت من الميم في المخرج فامتنع الإظهار ، واستوتا في أن كلّاً واحدة منهما تنطبق بها الشفتان فتحقق الاتصال والاستتار، وامتازت الميم عنها بمزية الغنة فامتنع الإدغام فلم يبقَ إلا الإخفاء))[١]. وهذا الاخفاء مختلف فيه [٢] .

ويصطلح على هذا الضرب من الإخفاء تسمية (الإخفاء الشفوي)[٣] .

وقد أشار الداني إلى نداوة صوت الميم في اثناء حديثه عن إدغام النون والتنوين في الميم: ((وأُدغما في الميم للمشاركة التي بينهما وبينها في الغنة ، حتى كأنك تسمع النون كالميم والميم كالنون لنداوة صوتهما))[٤] .

ونداوة الميم توحي إلى وضوحها في السمع وعلى هذا نستطيع أن نخرج بمفهوم يحدد حقيقة وسم الميم بالمخفاة بأنها يقل وضوح صفتها الذاتية (الغنة) في السمع ، وانتقال مخرجها إلى مخرج صوت الباء .

أصوات الإخفاء في التعليل الصوتي عند المحدثين :-

لا بد لنا من الكشف عن التداخلات التي عمت مفهومه عند المحدثين ولا يتأتى هذا الأمر إلا بتحليل نذكر فيه آراء بعض المحدثين ، لنكشف مدى صحتها أو انحرافها عن مفهوم الإخفاء .

وينبغي لنا أن نعرض أقوالهم بحسب الترتيب الزمني لدراستهم ، وهم على النحو الآتي:-

---

(1) المصدر نفسه١٧٢- ١٧٣ .

(2) ينظر: المصدر نفسه١٧٣ .

(3) ينظر: قواعد التلاوة وعلم التجويد ١١٨ .

(4) التحديد في الإتقان والتجويد ١١٥ .

١- د. عبد الصبور شاهين :-

بنى الدكتور في تحليله للإخفاء على وهم تخطئته سيبويه ، ورأى أن ينأى الألف عن الواو والياء [(١)] .

وتحدث عن الواو والياء بنص قال فيه: ((ولا مشاحة في أن الواو والياء صوتان مجهوران ، كما أن وصف سيبويه لهما باللين الذي يقصد به إتساع مخرجهما لهواء الصوت يتفق مع ما ذهب إليه المحدثون من وصفهما بأنهما انطلاقيان غير محتكين ، غير أن سيبويه قد رتب على إتساع مخرجهما حكماً آخر هو أنهما من أخفى الحروف ، ولا شك أنه لا يقصد بذلك الهمس ، أو شيئاً كالهمس ، فهو قرر أنهما مجهوران ، وإنما نظن أنه يريد بخفائهما ضعفهما))[(٢)]

وندرج أمرين على تحليله نجملهما بالآتي :-

أ- إن فصل الألف عن الواو والياء المدية خرق لخلوصها في المد .

ب- إن إتساع المخرج عند سيبويه لا يعني ضعفاً صوتياً للواو والياء المديتين، وإنما خفاء مخرجهما ، أي صعوبة تمييز نقطة أو مكان ما في جهاز النطق لتحديدهما .

٢- د. غالب المطلبي :-

وقد حلل مصطلح الخفاء بقوله: ((مصطلح "خفي" مصطلح عربي قديم بالنسبة للدراسات الصوتية العربية ... احسب أنهم أرادوا بمصطلحهم هذا تصوير درجة الاحتكاك في الصوت فكلما قلّ الاحتكاك زاد الخفاء في الصوت ، ومن أجل هذا أدرجوا في قائمة الأصوات الخفية تلك الصوامت التي تكون درجة الاحتكاك فيها واطئة جداً ، كالهاء مثلاً))[(٣)] .

نستشف من هذا النص ملحوظتين :-

أ- جعل من الاحتكاك معياراً وربطه بالخفاء .

---

(1) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ٤٠ .

(2) المصدر نفسه٤٠ .

(3) في الأصوات اللغوية ، دراسة في أصوات المد العربية ١٠٣ (الهامش ١٨٨) .

ب- إن مقدار الاحتكاك يعدّ من العوامل التي تؤثر في الخفاء فتقلله أو تزيده ، ويعدّ هذا الأمر صحيحاً ، ذلك أن الخفاء الصوتي الذي أشار إليه يمكن تعليله بـ (إتساع المخرج) ، فكلما اتسع ، قل احتكاك الهواء في المخرج ، وهذا ما نلحظه في أصوات المد الطويلة والقصيرة ، وكلما ضيق اتساعه زاد الاحتكاك وقل الخفاء عن مستواه الأعلى ، ولا يخفى أثر ذلك كلّه في الوضوح السمعي للصوت .

٣- **د. غانم قدوري الحمد :-**

تحدث الدكتور عن مفهوم الإخفاء في صوت الهاء وأصوات المد الثلاثة (الألف والواو والياء) ، إذ قال: ((فتفسير الخفاء بقلة الوضوح في السمع ينطبق على صوت الهاء ، دون حروف المد ، ومن ثم وجب البحث عن تفسير آخر لا يترتب عليه مثل هذا التناقض .... ان تفسير الخفاء بإتساع المخارج غير كافٍ...))[1] .

وعلى هذا النص نذكر الأمور الآتية :-

أ- اعتمد تحليله للخفاء على صوت الهاء ، وأصوات المد من دون أن يحلل أصواتاً أخرى وصفت بالخفاء ، وقد تحدثنا عنها آنفاً .

ب- إن الجامع بين الهاء وأصوات المد هو خفاء مخرجهما ، وقد أثبتنا ذلك في البحث ولا تناقض بينهما في ذلك على الرغم من أن صفتهما مختلفة ، فالخفاء ظاهر بينهما في المخرج لا الصفة .

ج- يمكن أن ندرج رأياً آخر على خفائهما ، قال مكي: ((... وإنما سميت بالخفية ، لأنها تخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها ، إنَّما لفظها في هذا خفي بين حرفين ، أو بعد حرف أو حروف هواء))[2] .

٤- **د. مي فاضل الجبوري :-**

رجحت الدكتورة ظاهرة اخفاء المد عند الهمزة بقولها: ((ارجح أن سبب المد في أصوات المد قبل الهمزة هو أن هذه الأصوات (الألف والواو والياء) يتميزن

---

(1) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٣٢٧- ٣٢٨ .

(2) الرعاية ١٢٧ .

اكثرهن من غيرهن وهو يستلزم مروراً قوياً للهواء بين الوترين عند النطق بهن فيكون اندفاعه كبيراً ... فعند الرغبة بنطق همزة يحتاج المتكلم إلى جهد أكبر لإيقاف تيار الهواء هذا الذي في أصوات المد لغلق المجرى تماماً عند مخرج الهمزة ... فينخفض الصوت بحرف المد ... فحروف المد تخفى عندما تكون بعدها همزة فهي أكثر الأصوات خفاء أي قابلية لانخفاض الصوت بها ...))[1] .

ويسجل على هذا الرأي ما يأتي:

أ- أخلت في ترجيحها بين خفض الصوت بحرف المد والعنوان الذي ذكرته في مستهل حديثها بأنه ((توجيه زيادة مد أصوات المد قبل الهمزة))[2] .

ب- إن ذكرها الضعف والقوة في الوضوح السمعي لأصوات المد لا يبين حقيقة أن أصواتها لها طاقة صوتية واضحة في السمع [3] .

وقد استطاع الباحث تفسير ظاهرة إخفاء أصوات المد عند الهمزة ، بالآتي:-

أ- إن أصوات المد فيها قدراً كبيراً من التضاد مع الهمزة في قوة الوضوح السمعي ، والأولى أوضح من الثانية ، كما ذكرنا آنفاً .

ب- إن المقصود بخفاء أصوات المد عند الهمزة ، خفاء مخرج الأصوات المدية – وقد وضحنا خفاء مخرج أصوات المد آنفاً – من أجل أن لا يتأثر المد ووضوحه بمؤثر الهمزة .

ويسند الباحث هذا التفسير إلى دليلين :

أ- قول المالقي وهو أكبر مساعد للباحث في تفسيره هذا ، إذ قال : ((ومعنى كون حرف المد يخفى إذا تأخرت الهمزة ، أن حرف المد لما كان مجرد صوت يهوى في الصدر ، ولا يعتمد على شيء من الأعضاء الناطقة بالحروف حتى لم يمكن تعلق شيء من الحركات به ما دام

---

(1) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث ١٤٠ .

(2) المصدر نفسه ١٤٠ .

(3) ينظر: في الأصوات اللغوية ، دراسة في أصوات المد العربية ٤٥ .

حرف مد ، وكانت الهمزة حرفاً جلداً ثقيلاً ممكناً في المخرج إلى الصدر ، .... فإذا التقيا خيف أن يتأهب المتكلم للنطق بالهمزة قبل توفيه حرف المد حقه ، فيكون ذلك سبباً إلى الإجحاف به ، حتى ربما ذهب معظمه أو كاد ، فعزموا على بيانه وتقويته بالصبر عليه ، والزيادة في مده ، وحصل عند ذلك انتهاء الصوت إلى موضع الهمزة ، فكان ذلك أعون على النطق بها كما تقدم))[١] .

ب- ما أقرته القوانين الصوتية: ((هي أن من اللازم أن يكون بين الحرفين المتجاورين في الكلام حد أدنى من التناقض أو التضاد في الصفات الصوتية ليسهل على جهاز النطق إخراج اللفظة ويسهل كذلك على جهاز السمع التمييز الواضح بين الصوتين))[٢] .

(1) شرح كتاب التيسير للداني ٣٤٠ .

(2) دراسة تتابع الوحدات الصوتية عند ابن جني ٢٦ (بحث) ، وينظر: علم اللغة ٢٩٨ .

الخاتمة

بعد أن عرضت الدراسة للأصوات الخفية التي بنى مفهومها العرب وأشاروا إليها إشارات دقيقة يمكن إجمال أهم نتائجها بالآتي :-

١- تتحدد الأصوات الخفية عند العرب بالحركة والحرف .

٢- تبين أن خفاء الحركة خفاء كمي ، إما أن يكون بالإبقاء على مقدارها ، أو نطقها بأقل من نطقها المتحقق .

٣- كشفت الدراسة عن أن الروم ضرباً من الإخفاء ، لأنه يحصل فيه نقصان للحركة .

٤- أثبتت الدراسة أن علماء التجويد كانوا أكثر تفصيلاً في تحديد مفهوم الإخفاء .

٥- إتضح أن فكرة الخفاء في أصوات الحروف مرتبطة بـ (إتساع المخرج)، ولاسيما أصوات المد واللين ، وشبه هذا الإتساع في مخرج الهاء التي عدّت من الأصوات الخفية .

٦- بانت في وسم التاء بالخفاء ، إن صفتي الشدة والهمس كان لهما تأثير سلبي في وضوحها السمعي .

٧- إن قلة الوضوح السمعي من أثر الصفة الانفجارية التي كان لها الأثر السلبي في خفاء الطاقة النطقية للصوت ، ولاسيما في صوتي الهمزة المفردة والتاء .

٨- كشفت الدراسة عن أن همزة (بين بين) من الأصوات الخفية ، وفسر الباحث الإخفاء فيها بأمرين : خفاء المخرج ، وخفاء تعاملها مع حركتها التي أدت إلى تغيب مخرج الهمزة الأصلي .

٩- إتضح أن خفاء النون متحصل من أمرين : خفاء مخرجها ، وخفاء بالتجاور .

١٠- تبين أن الميم تخفى في صوت واحد هو الباء ، ومفهوم خفائها فسر بقلة الوضوح لغنتها ، وانتقال مخرجها إلى الباء .

١١- بنيت أغلب آراء المحدثين في تحديدهم لمفهوم الإخفاء على آراء سيبويه، وقد انحرف بعضهم في تفسيره عن جادة الصواب واقترب رأي بعضهم إلى آراء القدماء فاتخذ الاحتكاك معياراً جيداً يمكن قبوله في توجيه الخفاء.

١٢- كشف الباحث عن أن المقصود بخفاء أصوات المد عند الهمزة ، على وفق إشارات القدماء والمحدثين هو خفاء مخرج أصوات المد لأتساعه ، وبقاء تحققه خفياً لكي لا يتأثر بالهمز .